Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان لهذه المقدرة النحوية أثرها الواضح في تلميذه تجلى في كتابه (ملحة الإعراب)، وشرحها.

أما عن طباعه وصفاته وعاداته، فقد ذكروا أنه كان ـ على ثرائه ـ بخيلاً، وكان دميم الخلقة، سليط اللسان، وآية ذلك أن رجلاً قصده، ليقرأ عليه، فاستدل على مسجده الذي يقرأ فيه، فلما أراد الدخول رأى شخصاً دميم الخلقة، فاحتقره، وقال: لعله ليس هو هذا، فرجع ثم قال في نفسه: لعله يكون هذا، ثم استبعد أن يكون هو، والشيخ يلحظه، فلما تكرر ذلك منه، تفرس الشيخ منه ذلك، فلما كان في المرة الأخيرة قال له: ارحل فأنا من تطلب، أكبر من قرد محنك[1].

وفي حصافة عقله يقول ابن الجوزي: إنه فاق أهل زمانه في الذكاء والفطنة[2]، ويقول العماد: «طلعت ذكاء ذكائه في المغرب والمشرق، وامتلأت ببضائع فوائده ونواصع فرائده حقائب المشئم والمعرق»[3] لهذا قلده الخليفة منصباً خطيراً في الدولة، إذ جعله.. صاحب الخبر[4]» بالبصرة في ديوان الخلافة، وقد ظل هذا المنصب وقفاً على أولاده من بعده إلى زمن «المقتفي».

أما ظرفه، وخفة روحه، وملاحة دعاباته فنلمحها في مقاماته كما سنرى بل نلمحها كذلك في بعض مواقفه: «يحكى أنه كان مولعاً بالعبث بلحيته بحيث يتشوه بذلك، فنهاه الأمير وتوعده على ذلك، وكان كثير المجالسة له، فبقي كالمقيد لا يتجاسر أن يعبث بها، فتكلم في بعض الأيام عند الأمير بكلام استحسنه منه، فقال له الأمي: سلني ما شئت حتى أعطيك. فقال له أقطعني لحيتي، فقال له: قد فعلت»[5] وما أشبهه في ذلك ـ دمامة الخلقة وخفة الروح، وحضور البديهة ـ بأبي عثمان الجاحظ.

---

(١) نزهة الألبا ٤٥٦.

(٢) المنتظم: ورقة/٤٨٧، من الجزء الثاني (مجلد ٧).

(٣) الخريدة: ورقة/١٨٣ من الجزء الأول.

(٤) رئيس قلم الاستخبارات الذي يوافي الخليفة بالأنباء اللازمة للجيش وغيره.

(٥) نزهة الألبا ص ٤٥٦، ٤٥٧.